بنية الحجاج في السرد النسائي الليبي
رواية "وبر الأحصنة" لنجوى بن شتوان أنموذجا

سهيلة بوساحة

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريرج، الجزائر

ملخص البحث:

تهدف هذه المقاربة لإبراز البنية الحجاجية في النص السردي النسوي المعنون بـ "وبر الأحصنة" للروائية الليبية "نجوى بن شتوان"؛ في محاولة للوقوف على:

- كيفية انبناء الحجج التي اعتمدت عليها الروائية في روايتها، عبر مسار حجاجي يصل بينها وبين المتلقي لروايتها.
- مدى فاعلية الآليات الحجاجية في مقاربة الخطاب الروائي النسوي.
- التقنيات الحجاجية التي يوظفها الخطاب الروائي النسوي الليبي، ومدى قدرتها على إثارة المتلقي العربي، والمتلقي الليبي على وجه الخصوص؛ فالتأثير في المتلقي هدف محوري تروم الرواية، ومختلف النصوص السردية تحقيقه.

تتبع هذه المقاربة الآليات المنهجية التي يوفرها الحجاج باعتباره آلية من الآليات التي يعوّل عليها السرد لإقناع المسرود لهم؛ لأنّ السردية في التداوليات الاجتماعية هي إحدى الصيغ التي يتم بها التواصل، وهي تقع جنبا إلى جنب مع الحجاج؛ فكلاهما صيغة تسعى إلى إحراز تواصل مفعم بالانسجام والاتساق، ومسلّح بقدر كبير من الأساليب التأثيرية.

ولأنّ الحجاج يعتمد على الدلالة والعلامة والاستدلال والقياس والبرهان في إطار تداولي يُتيح للمخاطبين أن يُعبّروا عن مواقفهم وميولهم وآرائهم وأفكارهم ومقاصدهم؛ فقد نجحت الكتابة النسوية الليبية في معالجة موضوعات الوطن والهوية والاختلاف والعادات والتقاليد مثلها مثل الرجل، كما نجحت الروائية "نجوى بن شتوان" في إحداث تواصل بينها وبين المتلقي، باستخدام تقنيات حجاجية فاعلة.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، بنية الحجاج، الروابط الحجاجية، السرد النسوي الليبي، العوامل الحجاجية، المسار الحجاجي.

The structure of pilgrims in the Libyan women's narrative

The novel "The Hair of the Horses" by Najwa Bin Shatwan as a model

Souheyla Boussaha

Department of Arabic Language and Literature

College of Arts and Languages

Mohamed El Bachir Brahimi University, Bordj Bou Arreridj, Algeria

Abstract:

This approach aims to highlight the argumentative structure in the feminist narrative text entitled "The Hair of the Horses" by the Libyan novelist "Najwa Bin Shatwan"; Try to find out:

- How to construct the arguments that the novelist relied on in her narration, through an argumentative path that connects her with the recipient of her narration.

- The extent of the effectiveness of argumentative mechanisms in approaching the feminist narrative discourse.

- The argumentative techniques employed by the Libyan feminist narrative discourse, and their ability to excite the Arab audience, and the Libyan audience in particular; Influencing the recipient is a pivotal goal that the novel and various narrative texts aim to achieve.

This approach follows the systematic mechanisms provided by the pilgrims, because the pilgrims depend on the indication, sign, inference, analogy and proof in a deliberative framework that allows the addressees

to express their positions, tendencies, opinions, ideas and intentions; The Libyan feminist writing has succeeded in addressing the issues of homeland, identity, difference, religious extremism and politics, just like men, and the novelist "Najwa Bin Shatwan" succeeded in creating communication between her and the recipient, using effective argumentative techniques.

KEYWORDS: pilgrims, structure of pilgrims, pilgrimages, Libyan feminist narration, pilgrimages factors, pilgrimages path.

1. السرد النسائي الليبي وخصوصية الكتابة

1.1. نشأة الأدب النسائي الليبي:

يجد الراصد لحركة الإبداع الأدبي النسائي الليبي أنّ بدايات تشكّله كانت في الأربعينات من القرن العشرين؛ أين نشأ في رحم الصحافة، وبفضلها أمكنه الانتشار بعد أن تبلورت سماته الأجناسية وتطورت. أنظر: (بن جمعة، 2007، الصفحات 14-15).

إنّ الحديث عن الأدب النسائي الليبي هو نوع من "الإقرار بوجود إبداع أدبي نسائي ليبي يتوفر على سماته المفيدة الدالة على اختلافه، ومن ثمّ على خصوصيته" (بن جمعة، 2007، صفحة 13)، وإذا جئنا للحديث عن الرواية النسائية في ليبيا نجد نتاج روائي محدود يجعل الرواية النسائية تشغل موقع الهامش ضمن المشهد الروائي الليبي؛ مما يُعلّل ضعف تلقيها من قبل النقاد والقراء، فضلا عن انحسار حضورها في خارطة الأدب الليبي الحديث والمعاصر. أنظر: (بوشوشة، بيبليوغرافيا الأدب النسائي المغاربي، 2008، صفحة 129)؛ فالمتصفح للمنجزات النقدية التي كتبت حول الأدب النسائي الليبي، بمختلف أجناسه، والروائي منه بالخصوص، يجدها تكاد تنعدم؛ فلم يُفرد النقاد منجزات خاصة لمقاربة ما تكتبه المرأة من أدب، إلاّ بعض المقاربات نذكر منها:

- رحلة القلم النسائي الليبي، أنجزتها شريفة القيادي سنة 1997، والصادرة عن منشورات لافاليتا، مالطا (ليبيا).
- أصوات نسائية في الأدب الليبي، لمنجزه الطاهر بن عريفة سنة 1998، والصادرة عن دار الحكمة طرابلس، ليبيا.

- معجم الكاتبات والأديبات الليبيات، لمنجزه عبد الله سالم مليطان سنة 2005، والصادرة عن دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني طرابلس، ليبيا.

كما نعثر على بعض المقاربات النقدية التي تناول فيها منجزوها الأدب النسائي الليبي بالدراسة والنقد، تُمثّلها:

- مباحث أو فصول في مؤلفات نقدية،
- مقالات في دوريات علمية؛ خاصة مجلة الفصول الأربعة التي يتضمن كل عدد منها تقريبا مقالا يُعالج نماذج من منجزات إبداعية نسائية.
- مقدمات نقدية لكتابات إبداعية نسائية.

ولمّا أُتيحت للمرأة فُرص التحرّر والتعلّم، برزت في هذا المناخ الثقافي كاتبات ليبيات باللغة العربية طالبنّ بالتحرر والمساواة مع الرجل الذي عانينّ منه طوال فترة قيدهنّ، مُحاولة منهنّ لتحقيق الذات وتأكيد هويتهنّ المستقلة؛ فكتبت المرأة عن المرأة، عن ذاتها، مع أنّ قضية المرأة قضية إنسانية بحتة، ومن المفروض لا مجال للتفريق بين المرأة والرجل لأنّهما يشكّلان في حقيقتهما مشكلة الفرد في المجتمع، باستثناء التركيب البيولوجي؛ فالمرأة والرجل يكوّنان المجتمع، وفلسفة هذا المجتمع وظيفة العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها جعلت الأسرة تميز بين الولد والبنت، وذلك بتفضيل الذكر عن الأنثى، وكثيرا ما نجد الوالدين والأهل يترقبون ولادة صبي، فهو الحامل للقب العائلة والوريث لها في مجتمع ذكوري.

تختلف حياة المرأة كثيرا عن حياة الرجل، فهو يتمتع بالحرية الكاملة منذ نشأته، عكس المرأة التي تكون حرة في البداية، لكن سرعان ما تبدأ في النمو فتلتف حولها القيود شيئا فشيئا، وتحاسب على كل ما تراه الأسرة مخالفا لعاداتهم وتقاليدهم، والمرأة أكثر حساسية من الرجل، وعطفا وضعفا، والعاطفة هي خلجات مشتركة بين الرجل والمرأة و"حديث المرأة عن هذه العاطفة علامة تحوّل دالة في وضعها، باعتبار خوضها في المسكوت عنه من الموضوعات وفنون الكلام باحتشام حينا، وبكثير من الجرأة حينا آخر" (بن جمعة، 2007، صفحة 48)؛ ذلك أنّ الحب في قوانين مجتمعنا يعتبر جريمة والمحب مجرم "يستحق الرجم"، فالمرأة تدرك الحب سبيلا إلى تحقيق ذاتها وتوازنها النفسي والجسدي، من خلال ما تخوضه مع الرجل من تجارب عاطفية، والمرأة تضع الحب في مرتبة رفيعة؛ فالكتابة بالنسبة للمرأة الليبية وسيلة لتحقق الاختلاف والتميّز عن العادي من المشاعر والعواطف.

ولقد وجدت المرأة في الكتابة وسيلة لقهر "السلطة الشهريارية الذكورية التي لا ترى في المرأة سوى انعكاسات باهتة لعجزها وسلطة دنيازاد المنضبطة التي ترقُب بإخلاص وصرامة الزّلل والخطأ لتُنشئ حوله كيانا نقديا" (بوشوشة، 2004، صفحة 60)؛ فكتاباتها تُحاول دائما وأبدا الإفلات من السلطة الذكورية القاهرة المعذّبة لها، "فمسيرة الحركة الفكرية والأدبية النسائية الليبية في جوهرها رجع صدى لحركة المجتمع الليبي الحديث، وما شهدته من تحولات وتغيّرات طالت مختلف هياكله المتقادمة" (بن جمعة، 2007، صفحة 14) وهذا الأمر يخّص المرأة المبدعة في العالم العربي ككلّ؛ فمعظم الكتابات النسوية التي انتشرت في الأوساط الأدبية العربية عامة، كانت نتيجة للظروف القاهرة التي كانت تعيشها المرأة بخضوعها لسلطة الرجل، وبالتالي كانت كلّ محاولة لكتابة هي في الحقيقة تمرّد على العادات والتقاليد ومُحاولة لتحقيق الوجود على الرغم مّا قد توسم به المرأة من أوصاف مستهترة ومنسلخة عن العرف الاجتماعي" (الجابري، 1978، صفحة 257)، وإذا كان هذا العامل قد أثّر سلبا على بروز الكتابة النسوية في العالم العربي، في ليبيا، ومختلف بلدان المغرب العربي، تنضاف إليه عوامل أخرى منها:

- الظروف الاستعمارية التي عاشت في محيطها المرأة الليبية، وباقي النساء المغاربيات، والتي أجبرتها على الانسحاب من الساحة الثقافية، لسببين: أولهما عقلية الرجل كسلطة عليها،
- سياسة التجهيل التي اعتمدها الاستعمار، وقد ذكرت المصادر التاريخية أنّ نسبة الأميّة في الدول المغاربية المستعمرة ، كالجزائر وليبيا، كانت تُمثّل ما نسبته 95% بين الرجال، و99% بين النساء؛ بالنظر إلى منع التعليم؛ ممّا يكشف عن العلاقة العضوية بين تعليم المرأة وإسهامها الفكري والأدبي.

استطاعت المرأة المبدعة، رغم ذلك، أن تتخطى هذه الظروف لتُحدث نوعا من القفز الإيجابي على المستوى الاجتماعي، الذي تحقّق لها من خلال دخولها مدارس التعليم والجامعات، وكانت لها فرص ممارسة الإعلام التي ساعدتها في تغير نمط التفكير ومواجهة الواقع، حيث سهلت عليهنّ فضاءات النشر في المجلات والجرائد الوطنية والعربية، فوجدنّ مجالا للتعبير والإفضاء عن خواطرهنّ وآرائهن حول المواضيع المختلفة. ولقد اقترن فعل الكتابة النسوية في ليبيا "بقضيتين جوهريتين هما:

- الحجاب الذي كان حائلا دون تحرّرها.

- الجهل الذي كان عائقا أمام تقدّمها.

ولقد أسهمت هاتان القضيتان على مدى تاريخها الطويل في تحديد السمات المفيدة لكينونة المرأة الليبية، وتوجيه مسار حياتها في الوجود؛ أين بدأت تتحسّس الكتابة الخواطرية والترسلية والمقال الاجتماعي للنهوض بالمرأة الليبية، بشكل متواضع في المجال الصحفي؛ بأسماء مستعارة أو بدون توقيع. أنظر: (بن جمعة، 2007، الصفحات 14-17)، وهذه حال الكتابات النسوية العربية في بدايات نشأتها؛ فمعظم الكتابات النسوية المُوقّعة بأسماء مستعارة (الجابري، 1978، صفحة 257)

2.1. خصوصية الكتابة النسوية الليبية:

تنطلق الكتابة النسوية العربية ككل من أوجاع الأنوثة المعطوبة وهمومها التي أفرزتها العديد من الأوضاع التي عاشتها المرأة وعايشتها؛ وتكتسب الكتابة لدى المرأة الليبية تميّزها بأنّها: فعل مشتق من الوجود، مضاد لتاريخ طويل من الاستعباد، والاستلاب في مجتمع ليبي يحتكم إلى السلطة الذكورية ومنظوراتها في تصور المرأة: أوضاعا وأدوارا، والتعامل معها وفق المتوارث من أنماط التفكير ومذاهب السلوك وسنن الأعراف؛ فالقضايا التي أثارتها الكاتبات الليبيات في مختلف الأجناس الأدبية التي مارسنها، والمواقف التي عبّرن عنها إزاءها، وإن كانت قد اتخذت الكتابة النسائية الليبية من قضية المرأة في مختلف تجلياتها الموضوع الرئيس الذي تدور فيه أغلب نصوصها، إن هي في الواقع إلاّ علامات دالة على ما كانت تشهده مختلف بنيات المجتمع الليبي الحديث من مظاهر تصدّع ناجمة عن قوة مدّ رياح المعاصرة والحداثة. أنظر: (بن جمعة، 2007، صفحة 14)

وجدت المرأة الليبية في الكتابة الخواطرية والترسلية والمقال والشعر والقصة متنفسا، وبقيت تراوح كتاباتها بين مختلف الأنواع الأدبية إلى أن وجدت ضالتها في الرواية باعتبارها الجنس الأدبي الأكثر قدرة على استيعاب ما تُريد أن تقوله وعجزت عنه الأجناس الأدبية الأخرى، فالرواية هي الشكل التعبيري الوحيد الذي وجدت فيه المرأة فضاء رحبا تصول وتجول فيه وتحكي أوجاعها وعطبها؛ ومن هنا فإنّ أدب المرأة هو الأدب الذي يُبرز خصوصيات المرأة الجوهرية والإنسانية ورهافتها وعطبها؛ لأنّ عذابات القرون ولّدت لديها هذه الوسائط حتى لا تنقرض (لعريط، 2004، صفحة 21) ولقد اصطلح على الكتابة التي تُبدعها المرأة "الأدب النسوي"؛ الذي يعتبر من بين الموضوعات التي دخلت حقل النقد العربي في مطلع القرن التاسع عشر، بعد أن عرفه النقد الغربي

منذ القرن السابع عشر، أما سبب تولّد الأسئلة الناجمة من التسمية التي تضمن في نظر أغلب كاتبات الرواية حكما بالهامشية مقابل مركزية مفترضة (بوشوشة، 2004، صفحة 57)، ولقد تعمّد أغلب المنتمين إلى المشهد الثقافي الليبي تهميش ما تكتبه المرأة من خلال تجاهله، والانتقاص منه بالتحامل عليه، إلى حد نفي البعض لوجوده، وهي المواقف الصادرة عن منظور ذكوري يقوم على جملة من الأحكام السلبية إزاء المرأة، وقدرتها على الإبداع الأدبي. أنظر: (بن جمعة، 2007، صفحة 13)

2. بنية الحجاج في السرد النسائي الليبي:

1.2. ماهية الحجاج:

الحجاج مصدر من حاجج وحاجّ أي قارع بالحجة وجادل بها، ونقول: حَاجَجْتُه، أَحَاجُّه، حِجَاجًا ومَحَاجَّة حتى حَجَجْتُه أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، وحَاجَّه مَحَاجَّة وحِجَاجًا، نازعه الحُجَّة، والحُجَّة البرهان، وهي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، ويقال أيضا رجل مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌ. والتَّحَاجُ بمعنى التَّخَاصُمُ، وحَاجَّه أي نازعه الحُجَّة. أنظر: (ابن منظور، صفحة 38)

يُعد الحجاج مفهوما بلاغيا قديما برز الاهتمام به بعد الثورة اللغوية المعاصرة وما رافقها من تطور للدراسات البلاغية بصفة خاصة، ولقد صدر كتاب للبريطاني "**أدلسون تولمين**" سنة 1958 عنوانه "**وجوه استخدام الحجاج**"، إلاّ أنّ "**بيرلمان**" يظل أشهر مفكّر معاصر في مجال البلاغة المعاصرة عامة وبلاغة الحجاج خاصة، والذي ينتمي إلى المدرسة البلجيكية الرائدة في مجال الدراسات البلاغية، حيث شكّلت حلقة بحثية دراسية داخل قسم علم الاجتماع والفلسفة صدر عنها الكتاب الرائد الذي ألفه وصديقه "**تيتيكا**" سنة 1958 والذي يحمل عنوان رئيسي "**مصنف في الحجاج**، وعنوان فرعي "**البلاغة الجديدة**" ويُعتبر بمثابة عنوان تفسيري، فقد كان هذا العنوان إيذانا بدخول الدراسات البلاغية مرحلة جديدة يُعنى فيها بدراسة الحجاج،

والمتتبع لبحوث المدرسة البلجيكية يجد أنّها تتبنى مسارا منهجيا يُطابق بين البلاغة والحجاج؛ إذ ينطلق رواد هذه المدرسة من فكرة أنّ كل خطاب يسعى إلى تدعيم وضع ما أو تغيير آخر أو اتخاذ موقف تجاه قضية ما، وأنّ كل تلك الخيارات لا بدّ لها أن تتأسس على خطط حجاجية مقصود بها المخاطب، والحجاج من منظور بيرلمان، بصفة عامة يعني دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تُؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في

درجة ذلك التسليم؛ فالحجاج في جوهره أقرب إلى الخطابة؛ لأنّه لا يكون إلاّ في الأمور التي تُثير الشك وتتطلب جهدا فكريا وعقليا لتدقيقها وكشف لبسها. أنظر: (ولد سالم الأمين، 2004، الصفحات 15-16)

1.1.2. مميزات الحجاج من منظور بيرلمان:

يتميز الحجاج عند **بيرلمان** بخمسة ملامح رئيسية هي:

- أن يتوجّه إلى مستمع.
- أن يُعبّر عنه بلغة طبيعية.
- أن تكون مسلماته لا تُعد، كونها احتمالية.
- أن لا يُفتقر تقدمه وتناميه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- أن تكون نتائجه ليست مُلزمة (احتمالية غير حتمية) حيث تُشكّل هذه الخاصية سمة أساسية من سمات الحوارية في الحجاج؛ أي انفتاحه على القراءة والتأويل والنقاش، وذلك ما يُؤكّد مظاهر الحرية الفكرية فيه، وفي إطار الاهتمام بميثاق التواصل والحوار بين المرسل والمستقبل يؤكّد "**بيرلمان**" على **المُحاج** الوعي بمدى قدرة وكفاءة مخاطبيه؛ فبذلك يستطيع أن يُجرّد من نفسه أشخاصا يحملون سمات مخاطبهم فيحاورونه ويُسائلونه؛ وهو ما من شأنه أن يُثري الحوار ويفتح آفاقه.

2.1.2. وظائف الحجاج من منظور بيرلمان:

وربما كانت وظيفة الحجاج محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان إلى درجة تبعث على العمل المطلوب، وقد حصر "**بيرلمان**" وظائف الحجاج في:

- الإقناع الفكري الخالص.
- الإعداد لقبول أطروحة ما.
- الدفع إلى الفعل.

3.1.2. أقسام الحجاج من منظور بيرلمان:

يُقسّم **بيرلمان وتيتيكا** الحجاج بحسب نوع جمهور المتلقين إلى قسمين:

- **الحجاج الإقناعي:** L'argumentation Persuasive هدفه إقناع الجمهور الخاص؛ لذا فهو لا يتحقق إلاّ بمخاطبة الخيال والعاطفة، وهو ما يحد من هامش فرصة العقل وحرية الاختيار.
- **الحجاج الإقتناعي:** L'argumentation Convincante ولأنّ هدف الحجاج الاقتناع فهو يقوم على الحرية والعقلنة، وهو غير ملزم وغير اعتباطي.

أهم شروط نجاح الحجاج التسليم بوجهة نظر الآخر وحضوره بآفاق انتظاره انتظاره في الخطط الحجاجية، وإلاّ لما كان ثمة حجاج أصلا كما يقول أصحاب كتاب "مصنف الحجاج".

والحجاج باعتباره حرية وحوارا عقليين لا يمكن الاستغناء عن الأطر المكونة له، الحافة به وخاصة الإستدلال والخطابة.

4.1.2. غاية الحجاج من منظور بيرلمان:

جعل **بيرلمان** غاية كل حجاج في أن يجعل العقول تذعن لما يُطرح عليها، أو أن يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفّق على الأقل في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو هو ما وُفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة؛ فغاية الحجاج إحداث التأثير العلمي المتمخض عن التصورات العقلية المقدمة، إذ تهتم نظرية الحجاج بمعايير انسجام الخطاب مع المخاطبين، ولقد أولت البلاغة العربية هذا الجزء اهتماما كبيرا، وفصّلت ما ينبغي على كل متكلم تجاه سامع من جهة، وما ينبغي على الخطيب أن يتوفر عليه من معارف ذهنية ومن شكل خارجي من جهة أخرى.

2.2. بنية الحجاج في رواية "وبر الأحصنة" لنجوى بن شتوان:

نجوى عاشور بن شتوان أديبة ليبية من مواليد 17 أوت 1968 بإجدابيا، بنغازي ليبيا، حيث تابعت مختلف مراحل دراستها، وهي متحصلة على الإجازة في علم النفس من معهد الفاتح لإعداد المعلمين ببنغازي سنة 2000، وهي تعمل منذ تخرجها معيدة بمعهد الفاتح لإعداد المعلمين ببنغازي. نشرت الكاتبة نتاجها الأدبي في عدد من الصحف والمجلات الليبية والعربية، منها: مجلة أخبار بنغازي، الجماهيرية، الليبيتين، ومجلة المستقبل والتضامن اللبنانيتين. أنظر: (مليطان، 2005، صفحة 299).

تُمارس نجوى بن شتوان كتابة الشعر والقصة القصيرة والمسرح، والرواية من مؤلفاتها أنظر: (بوشوشة، بيبليوغرافيا الأدب النسائي المغاربي، 2008، الصفحات 41-93-145-127) في:

1. **الشعر**: لديها ديوان شعري عنوانه: الماء في سنارتي، صادر عن مركز الحضارة العربية القاهرة، مصر سنة 2005.
2. **القصة القصيرة**: ألفت نجوى بن شتوان في جنس القصة، حيث نجد لها مجموعات قصصية:

- "قصص ليست للرجال"، الصادرة سنة 2004، عن مركز الحضارة العربية القاهرة، مصر.
- "صدفة جارية" الصادرة في طبعتها الأولى سنة2019 عن رياض الريس للكتب والنشر، بيروت لبنان.
- "طفل الواو" الصادرة عن مجلس الثقافة العام، ليبيا سنة 2006.
- "الملكة" الصادرة عن مجلس الثقافة العام، ليبيا سنة 2008.
- "الجدة صالحة" الصادرة عن دار الخيال، بيروت سنة 2012.
- "كتالوج حياة خاصة" صادرة عن دار أثر، الدمام سنة 2018.

3. **المسرح**: نجد للكاتبة محاولة بعنوان "المعطف"، صادرة عن دائرة الثقافة والإعلام الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، سنة 2003.
4. **الرواية**:

- وبر الأحصنة، الصادرة عن دار الحضارة العربية القاهرة، مصر سنة 2005.
- مضمون برتقالي، صدرت عن دار شرقيات القاهرة، مصر سنة 200.
- زرايب العبيد، الصادرة عن دار الساقي، بيروت لبنان، 2016.

إنّ العلاقة بين السرد والحجاج علاقة تداخل، كلاهما متضمن في الآخر؛ فالحجاج يتداخل بفعل التواصل مع السرد، وهو في أصله سرد، هدفه تحقيق التواصل الذي يقوم على الحجة التي تعتمد على السرد؛ فـ"السردية في التداوليات الاجتماعية هي إحدى الصيغ التي يتم بها التواصل، وهي تقع جنبا إلى جنب مع الحجاج؛ فكلاهما صيغة تسعى إلى إحراز تواصل مفعم بالانسجام والاتساق، ومسلّح بقدر كبير من الأساليب التأثيرية. وإذا كانت السردية تعتمد على الحدث القصصي، والتسلسل والحبكة والوصف والحوار، فإنّ الحجاج يعتمد على الدلالة والعلامة

والاستدلال والقياس والبرهان في إطار تداولي يُتيح للمخاطبين أن يُعبّروا عن مواقفهم وميولهم وآرائهم وأفكارهم ومقاصدهم" (بيكر، 2005، صفحة 22).

تعتمد البنية الحجاجية في الخطاب الروائي النسوي على بنيات لغوية وبلاغية وشبه منطقية، سنحاول الوقوف عليها من خلال تحليل خطاب النص السردي "وبر الأحصنة" لنجوى بن شتوان، الذي اخترناه كنموذجا للدراسة؛ إذ "تُقدّم لنا الروائية الليبية مفارقة كاشفة عالم الرواية من خلال جنين لم يزل يتشكّل في رحم الأم، واستبصاره الساخر للتقاليد والأعراف والعادات الليبية العربية الموغلة في القدم، التي تُكبّل المرأة وتحدّ من حريتها وترسم لها دورا تتوارثه الأجيال على مرّ الزمن؛ ويتأمّل الجنين ويُعايش في سخرية لاذعة أحوال الواقع خارج الرحم، وكيف تُؤثّر فيه روحيا وبدنيا وتُهدّد حياته قبل أن يطأ الأرض (مجلةالكلمة، 2009)؛ مما يكشف لنا أنّ الروائية الليبية اعتمدت في روايتها الخطاب الساخر الذي تطلّب الحجاج بالسخرية؛ فالروائية "نجوى بن شتوان" مثلها مثل باقي المبدعات والكاتبات الليبيات اللواتي لم ولن يملنّ الكتابة عن المرأة وقضاياها الشائكة، من مختلف الجوانب والأبعاد: أنظر: (بن جمعة، 2007، صفحة 44)

- إثارة مسائل تبعية المرأة الليبية للرجل،
- تربية الأطفال،
- الزواج التقليدي،
- الزواج من الأجنبيات،
- المهور،
- عمل المرأة،
- الطلاق،
- التعليم، وسبل النهوض بالمرأة،
- طبيعة أدوارها في مرحلة بناء الدولة الليبية، وتحديث هياكلها ومؤسساتها.

1.2.2. البنية اللغوية في رواية "وبر الأحصنة" لنجوى بن شتوان:

تحمل اللغة بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية؛ إذ توجد مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها، أين يُصبح الحجاج بعداً جوهريا في اللغة ذاتها؛ مما يعني أنّه حيثما وُجِدَ خطاب العقل واللغة فإنّ ثمة استراتيجية معينة نعمد إليها لغويا وعقليا إمّا لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية هي الحجاج ذاته. أنظر: (أعراب، صفحة 67)، وتشمل البنية اللغوية:

الأدوات اللغوية، الأفعال اللغوية، الوصف، تحصيل الحاصل؛ وسنحاول الوقوف على حجاجية اللغة السردية في رواية "وبر الأحصنة"، في محاولة لاستنطاق بنية الأقوال للوصول إلى استراتيجية الحجاج التي اعتمدت عليها الروائية لإقناع المتلقي:

1. **الأدوات اللغوية:** وتضم الروابط والعوامل الحجاجية

1.1. الروابط الحجاجية في رواية "وبر الأحصنة" لنجوى بن شتوان:

الروابط الحجاجية les connecteurs هي أحد المؤشرات الحجاجية التي تسند معنى **من** المعاني إلى المقولات التي يتلفظ بها المتكلم، وبها توجه دفة الحجاج بداية ونهاية، وتحتوي اللغة العربية على عدة روابط حجاجية شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، ونذكر منها ما يلي: بل، لكن، إذن، لاسيما، لأن، إذا، الواو، اللام، كي.

يميز محلّلو الخطاب الحجاجي بين نوعين من الأدوات اللسانية التي تحقق الوظيفة الحجاجية و**الترابط** داخل النص الحجاجي:

1- النوع الأول فتمثله عناصر **نحوية** في طبيعتها مثل: **الواو** و**الفاء** و**لكن** و**إذن**.

2-والنوع الثاني فتمثله جملة من **الأساليب** المتضمنة داخل الملفوظ الحجاجي **كالنفي** و**الحصر**، ويلحق بها عوامل حجاجية ذات وظيفة محددة دلالياً مثل: **تقريباً** و**على الأقل** و**منذ**، **قصا** و**أبدا** وغيرها.

ميّز **أبو بكر العزاوي** في كتابه: **اللغة والحجاج** بين أنماط عديدة من الروابط: أنظر: (العزاوي، دت، صفحة 27)

- **الروابط المدرجة للحجج** مثل: **لأنّ**، **اللاّم**، **لهذا**.

ولقد استعملت الكاتبة الروابط المدرجة للحجج؛ لتربط بين قضيتي الحجة والنتيجة بأسوب ساخر يهدف إلة التخلص من بعض العادات والتقاليد في المجتمع الليبي، والتي أثقلت كاهل المرأة وأتعبتها؛ لأنها وحدها من تتحمل تبعات هذه التقاليد، سنحاول تتبع الروابط المدرجة للحجج في بعض المقاطع السردية، ودورها في الربط بين الحجة والنتيجة، ومدى تمتينها لقوة الخطاب الحجاجي:

يُعتبر الرابط "**لأنّ**" من أهم أدوات التعليل التي تستعمل لتبرير الفعل، وهي تتصدر الكلام، وتسبق النتيجة، ثمّ تأتي الحجة، مثال على ذلك: "طلب آدم من حوائه استخداما عادلا للثديين... حواء تعبت من تقصي هذه العدالة، لأنّ أحد الثديين كان يدّر أكثر من الآخر، فطلبت من آدم أن

يأتيها بمربية ومرضعة لأنّ تربية الأطفال ليست سهلة" (شتوان، وبر الأحصنة، 2005)، في هذا القول استعملت الروائية الرابط الحجاجي "لأنّ" لبناء خطابها الحجاجي؛ الذي يكشف عن طرح قضية "تربية الأطفال" التي تتولاها الأم، ورغبة المرأة/ الأم الليبية في التحضر والبحث عن من يقاسمها المسؤولية، بإيجاد مربية/ مرضعة، أو استعمال الرضاعة الاصطناعية؛ تجنبا للأمراض الوراثية التي تتنقل من الأم إلى الطفل.

كما استعملت الروائية الرابط الحجاجي "لأنّ" في طرحها لقضية التحزب والتطرف الديني، وموقف المجتمع الليبي، الأنثوي والذكوري منه، تقول:"ندمت حواء لأنّها لم تتناول حبوب منع الحمل، تذكرت أنّ لديها واحدة، فتشت عنها في صندوقها الأثري، ولما وجدتها أخبرتها الحبة بأنها صارت عجوزا وانتهت صلاحيتها كولود، بينما عضّ آدم أصابعه ندما لأنّه لم يأت عقيما إلى الوجود.... لعن الله الشيطان؛ إنّه السبب في كلّ ما حدث لنا كليبيين" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)

وظفّت الكاتبة الرابط "**لام التعليل**" المدرج للحج؛ من خلال حديثها عن قضية الزواج في المجتمع الليبي، حيث يُفتقد الحب: "حدث النكاح.... كانت لحظة اندلاق عظمى.... وأدّت (احويوة) الثانية، والثالثة...كان حمد طفلا يتيما لا يدرك أنّ الفكرة المتسرعة لجمعهما لأجل حفظ النسل ليس إلا... كانت سوق المقايضة رائجة فاستبدلت (احويوة) ببقرة وقبضتين من التمر"، فالرابط الحجاجي "لام التعليل" ربط العلة بالنتيجة؛ الزواج التقليدي المبكّر والمتسرّع علتّه حفظ النسل، نتيجته النّدم.

- روابط التعارض الحجاجي:

إنّ روابط التعارض الحجاجي مثل: **بل، لكن**، تعملان تعارضا حجاجيا بين ما يتقدمها وما يتلوها، وهي تربط بين حجتين، وتكون الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى ومعارضة لها، وتكون النتيجة المضادة هي النتيجة التي يؤول إليها الكلام. **والتعارض الحجاجي** هو مبدأ حجاجي ينص على أنّه: إذا كان لدينا **حجة** والتي نرمز لها برمز"ح" تصلح لتعزيز **النتيجة** والتي نرمز لها بالرمز "**ن**" فمن الضروري أن توجد **حجة ثانية** نرمز لها بـ "حَ" لتعزيز **النتيجة المعارضة** والتي نرمز لها بـ "**لا–ن**" بحيث الحجة الثانية "حَ" ليست بالضرورة **لا** "**ح**"؛ وذلك بين ما يُقدم الرابط وما يتبعه، فالقسم الأول "أ" يتضمن حجة تخدم نتيجة "**ن**" والقسم الثاني "**ب**" يخدم نتيجة مضادة "**لا – ن**"

وتكون الحجة الثانية أقوى من الأولى، وبهذا توجه القول بمجمله نحو نتيجة "**لا – ن**" حيث "**أ**" و"**ب**" حجج.

"**بل**" بصفتها رابطا حجاجيا تعمل عمل "**لكن**" وهي من روابط التعارض الحجاجي، أي أنّها للإضراب وقد تكون غير ذلك فأحيانا تعمل عمل "**حتى**" بمعنى عمل **التساوق الحجاجي**، أي تربط بين حجج تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، ولقد تواتر توظيف روابط التعارض الحجاجي في رواية "وبر الأحصنة: حيث تحدّثت "نجوى بن شتوان" على وظيفة المرأة في المجتمع الليبي، ومختلف المجتمعات العربية لتكوين الأسرة والإنجاب، وأشارت إلى المشاكل التي صاحبته، أهمها رواج العمليات القيصرية، ولقد وظفت الروائية الرابط الحجاجي **لكنّ** كرابط يُفيد الاستدراك؛ بقولها: "لكن الله الرحيم رحم آدم رحمةً لم يقدرها عندما سخّر لحواء ولادةً طبيعية شفقة بحاله ووحدته ويتمه"، تعقيبا على قولها: "جاء حواء الطلق، فالحمد لله، إذ لم تعرف العمليات القيصرية بعد ولا أي شيء قيصري من الأساس" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009) ليتأكدّ من خلال الرابط "لكنّ" أنّ الولادة تمت طبيعية؛ فقط توسط الرابط الحجاجي قضيتين متناقصتين.

ونظرا لأهمية الإنجاب فقد جعل له المجتمع الليبي طقوسا تصاحبه؛ وذكرت الروائية قضية الاهتمام بالمرأة النافس: "وعادت حواء للمنزل بطفلين مختلفين... بيد أنها اندفعت في البكاء إلى مالا نهاية عندما وضعت قدمها فوق العتبة ولم تجد مخلوقاً في الدار لاستقبالها... هوَّن عليها آدم الخطب (خوفاً من لا نهاية البكاء) مؤكَّداً أنه سوف يعوضها عن فقدان العائلة والجارات والأقرباء واللّمات، ملوحاً إلى قدراته الفطرية في تكوين مناخ أسري... **لكن** حواء أصرّت على البكاء رغم تصريحات زوجها وضماناته، لفقدانها طقوس رعاية النّفساء، ومستلزمات فترة النّفاس... فذلك أقلّ تقدير لها على عملية الخلق" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)، حيث تمّ توظيف الرابط "لكن" للربط بين قضيتين متعارضتين داخل الخطاب السردي، إصرار على حواء لفدانها الطقوس المصاحبة لما بعد الولادة، والقضية الثانية تأكيد آدم على تكوين عائلة تعويضا لهذا الفقد؛ تأكيدا على ضعف الحجة التي قدمها آدم/ الرجل الذي تخدمه، وكأنّ بكاء حواء سببه ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقها، وكثرة الإنجاب لا تناسبها.

وظفت "نجوى بن شتوان" في خطابها السردي الرابط الحجاجي "بل" الذي يُفيد النفي "أفتش عن نفسي بعيداً عن المكان الذي وجدت نفسي فيه.... الوجود النسائي هنا كئيب... هناك جدة من جداتي القديمات قتلت بوضع الملح على جراحها التي خَلَفهُا الاستمرار في جلدها،... امرأة أخرى

سأكون متسلسلة من نسلها لا تهتم بنتف شواربها، تمتهن معالجة عقم الذكور والوخز بالمخيط... وأخرى لحمها أخضر لكثرة الوشم عليه، إنها ليست خريجة سجون الدولة **بل** سجون الحياة" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)، تحدثت عن معاناة المرأة، التي تمتهن حرفا تقليدية توارثتها عن أمهاتها وجداتها، فلو تعلّمت ستطور موروثاتها ويمكنها أن تخوض مهنا خاضها الرجل؛ فالتعليم بالنسبة للمرأة يرفع من قدرها ويخفف من معاناتها في الحياة التي خلّفت عليها آثارها كما تخلّفها السجون على مساجينها.

تمّ توظيف الرابط الحجاجي بل "....فالآباء أمام مشكلات كثيرة منها: أن يكونوا أكثر صبراً من أيوب، فالصبر المطلوب منهم ليس ذاك المقرر على الأنبياء، بل الصبر الذي إن تعلمه الشخص العادي حوله إلى نبي لا كرامة له في أرضه.؛ حيث ربطت "بل" بين حجتين: صبر الأنبياء، صبر الآباء، والحجة الثانية أقوى من الأولى.

- **الروابط المدرجة للنتائج** مثل: **إذن، لهذا**؛ ولقد استعملت الكاتبة "نجوى بن شتوان" روابطا مدرجة للنتائج:

"**إذن**" في قولها: "ماذا يعمل والدك؟ بصّاص. وجدك؟ بصاص أيضاً، إذن هي مسألة وراثية؟ ربطت بين الحجج المدرجة للنتاج؛ الحجة الأولى عمل، الحجة الثانية عمل الجد، ليصل إلى نتيجة توارث الأبناء حرف ومهن أجدادهم، وهما حجتان تخدمان نتيجة واحدة، تأثير عامل الوراثة في المجتمع الليبي الغالب على جميع الأصعدة والمانع لصور النهضة والتطور والتعويل على بناء الذات الإنسانية لذاتها.

تمّ توظيف الرابط الحجاجي "**إذن**" للربط بين حجج متساوقة تخدم نتيجة واحدة، لتدعيم خطاب حجاجي تواصل فيه الروائية السخرية من تقاليد المجتمع الليبي/ الذكوري المستنزف للمرأة وكيانها، وتصل إلى نتيجة تعب المرأة في المجتمع وتحميلها كلّ خطايا المجتمع وآفاته، في قولها: "مات أطفال كثيرون من الآفات التي استنقلتها أمهاتهم... وددت لو أستطيع لفت نظر حاملتي إلى الطعام الذي تؤكلنيه معها فهو غير صحي البتة، إنّه فقيرٌ من الفيتامينات، وطعام الفقر هذا صار من التقاليد العريقة التي لن تتمكن حاملتي من الامتناع عنها... زد على ذلك نبيذ الليبيين وسكيرهم، فاتح شهيتهم وعصير موائدهم الحارق الخارق المسمى بـ (المصيَّر).... إذا كانت أمك ليبية فلا ينبغي أن تتناوله في بطنها، حتى لو قالوا لك بأنّه دواء ينجي من الموت! حاملتي

متعبة ...إذن أنا أيضاً متعبة، طيلة النهار تخدم مثل البغل ولا أحد يرأف بها!.. (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)

- ومن الروابط المدرجة للنتائج وتعمل على الربط بين الحجة والنتيجة **حينئذ:** التي ربطت حجة إصابة الطفل الأول وحجة مرض الطفل الثاني وحجة حزن الأم بنتيجة الحسد من الأقرب"حزنت حواء فأحد الأطفال أصابه (بو مخيلب)، والثّاني أصابته العين، فاكتشفت **حينئذٍ** بأنّ عين الودود أكثر شراً ولؤماً من عين الحسود، إذ ليس ثمة حسود بعد، وحتىّ يظهر فلا بُدّ وأن يكون الفاعل الآن هي عليها السلام أو آدم عليه السلام" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)
- **لهذا:** استعملت في النص السردي "وبر الأحصنة" للربط بين الحجج والنتيجة الواحدة؛ فقد أوردت الروائية حججا لتأكيد علاقة المرأة في المجتمع الليبي علاقة حب ورغبة ولا مبالاة ونفور "حاء جديدة تدخل التراب، مقابل كلّ عشر موءودات تترك واحدة حية في كل بيت... لهذا نبتت وتأصّلت نزعة الجوع إلى حواء عند الرّجال، فهم الدافنين وهم الراغبين في نفس الوقت... وهم السّاعين إلى نهب غيرهم في حوّ آته الباقيات في قيد الحياة! لديهم وفيهم كلا الرغبتين... الإفناء والإبقاء... محرّك الإفناء العار ومحرّك البقاء الجنس" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009) إنّ صورة آدم في حقيقتها تلك تعكس مجتمعا يكون الرجل فيه مثال الخير والبراءة، في حين تمثّل الأنثى الشر والخطيئة، فالقصة تشير إلى المجتمع أكثر مما تفسّر النص الديني" أنظر: (أبو زيد، 2000، صفحة 22)
- **هنا:** استعملت كرابط حجاجي أفاد قوة النتيجة، أن تريد الروائية تأكيد حججها، وتثبت قضيتها، قضية المرأة الليبية ومعاناتها في مجتمع ذكوري متسلّط، تقول: "الوجود النسائي **هنا** كئيب" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009) واستعملت الرابط الحجاجي "هنا" ويا سيدنا... أتوسل إليك ممسكًا بكسائك الأخضر المتسلسل من المرابطين الذين قبله واحداً بعد الآخر، أن تعينني علي الحياة هنا، فالمرء لا يستطيع الثقة المطلقة بإعانات اليونسكو والصليب الدولي ومعونات الدول الصديقة لتحسين مستوى المعيشة ريثما يكبر، فهذه رهن بسياسة البلد وحسن سلوكها العالمي، ونحن لن نكثر عليك ونحشرك في عقد السياسة، فقط ابقَ معنا، وافعل لنا كل شيء من شأنه تخفيف أعباء الحياة" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)

- **هكذا:** "...سيبقى في السلوك والسمات الظاهرة للابن شيءٌ من جدّه، أما أن تصير إنساناً **هكذا** دون إرث ما فلا أستطيع أن أقول لك بخصوصه شيئاً، (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)

في قول آخر ربطت "بن شتوان" بين حجج برابط حجاجي مدرج للنتائج؛ لتؤكدّ وضع المرأة الليبية: "...هكذا كنت عديمة الحيلة، ويداي مغلولتان أبداً إلى حوضي! (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)، تعاني المرأة العربية من جسدها، تكبر وكلّها عقد وخوف؛ فكانت الخطيئة التي ألصقت بحواء، ولم يغفرها المجتمع، بقيت المرأة موسومة بعار الخطيئة الذي دفعته على: فهي العار، الجسد، العورة، المتعة، المقدس والمدنس في آن.

- استعمل **لذلك** كرابط بين حجج كثيرة بخصوص المرأة والإنجاب في المجتمع الليبي، الذي أوصلها حدّ القهر، الذي قرّرت معه النشوز وقطع العلاقة الزوجية لتحديد النسل: "قُهرت أمنا فينا فاعتزلت الفراش لئلا تزيد عدد الليبيين الجياع، لذلك باضت بقية أولادها بيضاً! (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)

روابط التساوق الحجاجي مثل: **حتى**؛ ويتمثل دورها في الربط بين الحجج التي تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنّها تخدم نتيجة واحدة، ثم إنّ الحجة التي ترد بعد الرابط الحجاجي **حتى** هي الأقوى.

ولقد استخدمت الكاتبة "نجوى بن شتوان" روابطا مدرجة للتساوق الحجاجي، مثل:

حتى: في قولها: على لسان الجنين "تمسكتُ بدهاليز البطن أكثر فأكثر فأكثر خوفاً من موضوع الحليب.. حتى لاقت القابلة صعوبة في استخراجي" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009) حيث أفاد الرابط "حتى" معنى التساوق الحجاجي، من نفس التوجه المعرفي، ربط بين تمسّك الجنين ببطن أمه، وصعوبة استخراجه التي واجهت القابلة.

استعملت الروائية الرابط الحجاجي "حتى" في قولها: "ماذا حدث لبدرية؟ جلب لها زوجها ضره مصرية، لكم قلت لها احكمي لجام التيس فمصيره هاجرك ومستبدلك، لكنها لم تعتنِ بنصائحي، قفل الله باب مصر على رجالنا، **فحتى** أهبلهم تزوج ليكثر عدد المخبولين في البلد! (شتوان، وبر الأحصنة، 2009) للربط بين حجج متساوقة؛ ومن نفس التوجه الحجاجي، ربطت بين حجة جلب الضرة، وعدم قدرة بدرية للحفاظ على زواجها، والزواج من الأجنبيات (المصريات خاصة) في المجتمع الليبي، "الناس التي تعاني من أولاد لها بلغوا سن الزواج وبهم خصاصة في عقولهم أو

جسومهم وجدت مفتاح الفرج في فتح الطريق على مصر، إذ ما يكاد الواحد منهم يضع رجله هناك حتى يعود بعروس يضع في عنقها مسئولية الولد غير السوي، يقولون بأن الفقر هناك يجعلهم يقبلون على تزويج بناتهم دون إعمال بصر أو فكر في الآتي إليهم الذي لو كان فيه خير لما رماه الطير! إنهم يتخلصون من حملهم الثقيل في ليبيا، ليبيا اسم الله عليها حلالة عقد" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)

2. الأدوات الشبه منطقية: يمثّلها **السلم الحجاجي**

السلم الحجاجي Echelle argumentative علاقة ترتيبية للحجج (Moschler و Anne، الصفحات 281-282) وهو يقوم على ترتيب الحجج عموديا من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية في فئة حجاجية واحدة، كما يكون كل قول في السلم دليلا على مدلول معين، ففي رواية "وبر الأحصنة" انتظمت الحجج التي اعتمدت عليها الروائية لتأكيد خطابها الساخر من التقاليد والأعراف والعادات الليبية العربية الموغلة في القدم، التي تُكبّل المرأة وتحدّ من حريتها وترسم لها دورا تتوارثه الأجيال على مرّ الزمن، والكتابة عن المرأة وقضاياها الشائكة، من مختلف الجوانب والأبعاد، وإثارة مسائل تبعية المرأة الليبية للرجل، تربية الأطفال، الزواج التقليدي، الزواج من الأجنبيات، المهور، عمل المرأة، في سلم حجاجي مرتبة ومتدرجة، تتفاوت من حيث دلالتها وتأثيرها في المتلقي؛ لكنها تؤدي إلى نتيجة واحدة: ففي قول "بن شتوان " لم أجد أرحب ولا أوسع من عتبة منزلنا أقضي بها طفولتي الكبيرة، وأعيد منها جلسة البطن التي تعلمتها خلال الشهور التسعة أتفرج منها على أولاد الحارة وهم يلعبون السمكة، والنقيزة وكرة قدم الجوارب التالفة... لو أنّ القدر أذن أن أكون ذكراً لكنت أحسن من يراقص كرة الجوارب تلك، ويهزم بها شباك حراس المرمى في حيناً والأحياء المجاورة... إنما بعد أن حملت بين ردفي شيئاً أوصوني بأنه ثمين فعلي أن أحفظ غلاءه بوضع يدي عليه دائماً كي لا ينكسر...هكذا كنت عديمة الحيلة، ويداي مغلولتان أبداً إلى حوضي!" (شتوان، وبر الأحصنة، 2009) يمكن تنظيم سلم حجاجي لهذه المقولة، يرتبّ ترتيبا تصاعديا، وصولا للنتيجة التي توضع في أعلى السلم وتكون بمثابة الحجة الأقوى، كالتالي:

النتيجة ن: هكذا كنت عديمة الحيلة، ويداي مغلولتان أبداً إلى حوضي.

الحجة ح[5]: إنما بعد أن حملت بين ردفي شيئاً أوصوني بأنه ثمين فعلي أن أحفظ غلاءه بوضع يدي عليه دائماً كي لا ينكسر.

الحجة ح^4 لو أنّ القدر أذن أن أكون ذكراً لكنت أحسن من يراقص كرة الجوارب تلك، ويهزم بها شباك حراس المرمى في حيناً والأحياء المجاورة.

الحجة ح^3 أتفرج منها على أولاد الحارة وهم يلعبون السمكة، والنقيزة وكرة قدم الجوارب التالفة...

الحجة ح^2: أعيد منها جلسة البطن التي تعلمتها خلال الشهور التسعة.

الحجة ح^1:لم أجد أرحب ولا أوسع من عتبة منزلنا أقضي بها طفولتي الكبيرة.

ح^1 ح^2 ح^3 ح^4 ح^5= حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"؛ تقوم بين هذه الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية مفادها تسلّط المجتمع الذكوري في مقابل تهميش المرأة/ الأنثى، على علاقة ترتيبية معينة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي؛ لأنّه فئة حجاجية موجهة، ويتسم بالسمتين الآتيتين:

- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى "**ن**".
- إذا كان القول " **ح^1**" يؤدي إلى النتيجة "**ن**"، فهذا يستلزم أن" **ح^2**" أو" **ح^3**" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح.

لقد بنت الروائية حججها التي اعتمدت عليها لإيصال صوت المرأة الليبية، ومشاكلها مع تربية الأولاد والزواج التقليدي ومسألة الإنجاب المتكرّر، وفق سلم حجاجيا لتقوي النتيجة التي تريد الوصول إليها، نذكر القول التالي: "ولأنّه وحده عرض آدم على حواء موضوع الحمل المتكرر فرفضت بشدّة (قابلة للتليين بعد وهلتين!) ثم ما لبثت أن وافقته عندما ذابت الشدّة عنها حتّى لا يقتله الشعور بالفراغ والوحدة ويقتلها هي من ورائه. شغلت نفسها بعدئذ بالأولاد وبالحمل الجديد والمتجدد باستمرار حتّى بات وقتها محشواً بالأعمال البيتية التي لا فكاك منها إلا بالوقوع في حفرة الحمل (الممنوع من التّوقف). (شتوان، وبر الأحصنة، 2009)، ويمكن تنظيم هذه الحجج في سلم حجاجي؛ ترتب فيه الحجج من الأقوى إلى الأضعف دلاليا والأقرب إلى النتيجة ن:

النتيجة ن: بات وقتها محشواً بالأعمال البيتية التي لا فكاك منها إلا بالوقوع في حفرة الحمل (الممنوع من التّوقف).

الحجة ح^5: شغلت نفسها بعدئذ بالأولاد وبالحمل الجديد والمتجدد باستمرار

الحجة ح^4 حتّى لا يقتله الشعور بالفراغ والوحدة ويقتلها هي من ورائه.

الحجة ح^{3} ثم ما لبثت أن وافقته عندما ذابت الشدّة عنها.

الحجة ح^{2}: فرفضت بشدّة (قابلة للتليين بعد وهلتين!)

الحجة ح^{1}: ولأنّه وحده عرض آدم على حواء موضوع الحمل المتكرر.

ح^{1} **ح**^{2} **ح**^{3} **ح**^{4} **ح**^{5}= **حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"**؛ تقوم بين هذه الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية مفادها أنّ قوام المجتمع الليبي السيطرة فيه للرجل، ولا مجال للمرأة في مشاركته أمور الدولة والتسيير، إبعاد المرأة عن الأدوار النهضوية وبناء المجتمع؛ مع أنّها العنصر الفاعل فيه، وهي من تمنح الرجل الحياة كأم وزوجة.

تطرح نظرية **السلالم الحجاجية** تصوراً لعمل المحاججة من حيث هو تلازم بين قول الحجة ونتيجتها، لكن قول الحجة والنتيجة في تلازمها تعكس تعدداً للحجة في مقابل النتيجة الواحدة على أن هناك تفاوتا من حيث القوة فيما يخص بناء هذه الحجج. إنّ مفهوم **السلم الحجاجي** في الخطاب من حيث تركيزه على **مبدأ التدرج** في توجيه الحجج يُبيّن أنّ المحاجة اللغوية لا ترتبط بالمحتوى وإحالة هذا المحتوى على مرجع محدّد، بل هي رهينة القوة والضعف الذي ينفي عنها الخضوع لمنطق الصدق والكذب، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ المتكلمين يختلفون في بناء منظومة السلالم إذ أنها متسمة بالخصوصية والذاتية، فالبعض يلخص موقف خصومه، والبعض الآخر يدمجه في برهانه ويتبناه مؤقتاً.

تنطلق نظرية **السلالم الحجاجية** من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة **ق** والنتيجة **ن**، ومعنى التلازم هنا هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم، إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية؛ فنظرية السلالم الحجاجية التي تدعم هذه النتيجة قد تكون إذن متفاوتة في درجة قوتها، إذ تشكل سلما ينطلق من أضعف حجة حتى يصل إلى أقواها، ولذلك سميت بالسلالم الحجاجية، أما بالنسبة للنتيجة فقد تكون ضمنية وقد تكون صريحة.

ينضبط السلم الحجاجي وفق قوانين ثلاثة، أنظر: (Moschler و Anne، صفحة 287):

1. **قانون النفي:** إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإنّ نفيه أي(≈أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة.
2. **قانون القلب:** إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإنّ نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة.

3. **قانون الخفض:** إنّ الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضا في سلمية تدريجية موضوعية يمكن تعريفها.

3.الخاتمة.

من خلال العرض السابق أصل إلى النتائج الآتية:

النتيجة الأولى:

حاولت المرأة المبدعة في ليبيا أن تطرح إشكالات عديدة وتتناول مواضيع متباينة طالما وقفت تفرّج عليها في زمن قهرها وظلمها وتهميشها؛ الأمر الذي أثار ردود أفعال نقدية اتّسمت في معظمها بالعاطفية والانفعالية التي تُمليها العصبية الذكورية، التي تُحاول دائما إرجاع اهتمامات المرأة لأمور تافهة تحوم حولها الشبهات، فما يكتبه الرجل يتصّف بالمركزية وجعل ما تكتبه المرأة هامشيا خارج الحدود؛ مما جعل الأذهان تتّجه لسماع مصطلح الأدب النسائي إلى حصر حدود هذا المصطلح بالأدب الذي تكتبه المرأة؛ أي بتحديده من خلال التصنيف الجنسي لكاتبه لا من خلال المضمون وطريقة المعالجة، فمرّد الأدب الذي تكتبه المرأة إلى تقسيم جنسي (ذكوري/أنثوي) يؤدي إلى إهمال النقاد لهذا المصطلح. يمكن أن يكون هناك تميّز بين الإبداع النسوي والذكوري، ذلك أنّ المرأة تكتب لتتحرر، لتكشف، لتُعاين وتصوّر أمورا وحاجات وأحلام تعيها دون أن تُهمل الجانب الثقافي والواقعي والقومي، شأنها في ذلك شأن الرجل، وجود البعد الإنساني لدى كلّ من الذكر والأنثى والذي يتمظهر في العمل الأدبي.

النتيجة الثانية:

أنّ المرأة المبدعة الليبية قد اتخذت من الكتابة أداة للتحدي، وأنّه لا فرق بين أدب المرأة وأدب الرجل، ولقد خاضت غمار الكتابة في موضوعات الوطن والهوية والاختلاف والتطرف الديني والسياسة مثلها مثل الرجل، مع القول بوجود خصوصية أنثوية في كتابة المرأة، بحكم الخصوصية التاريخية والنفسية.

المصادر والمراجع

.conversation Argumentation et .Jacques Moeschler

Dictionnaire encyclopédique de .Reboul Anne و ،Jacques Moschler .pragmatique

أبو بكر العزاوي. (دت). اللغة والحجاج (الإصدار 1). الدار البيضاء، المغرب: العمدة في الطبع.

بن جمعة بوشوشة. (2004). الرواية النسائية الجزائرية: أسئلة الكتابة، الاحتلاف، التلقي. الملتقى الدولي الثامن للرواية: عبد الحميد بن هدوقة (الصفحات 57-67). برج بوعريريج، الجزائر: منشورات دار الثقافة، برج بوعريرج.

بن جمعة بوشوشة. (2008). بيبليوغرافيا الأدب النسائي المغاربي (الإصدار 1). تونس: المغاربية للطباعة والإشهار.

بن جمعة بوشوشة. (2008). بيبليوغرافيا الأدب النسائي المغاربي (الإصدار 1). تونس: المغاربية للطباعة والإشهار.

بوشوشة بن جمعة. (2007). الأدب النسائي الليبي: رهانات الكتابة ومعجم الكاتبات (الإصدار 1). تونس: المغاربية للطباعة والنشر.

حبيب أعراب. (بلا تاريخ). الحجاج والاستدلال الحجاجي. عالم الفكر ، 30 (1).

عبد الله سالم مليطان. (2005). معجم الكاتبات والأديبات الليبيات، تراجم ونصوص طرابلس (الإصدار 1). طرابلس، ليبيا: دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني.

محمد الصالح الجابري. (1978). دراسات في الأدب التونسي. ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب.

محمد لسان الدين ابن منظور. لسان العرب، مادة (ح ج ج) (المجلد 4). بيروت، لبنان: دار صادر.

محمد ولد سالم الأمين. (2004). حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة (الإصدار 1). طرابلس، الجماهيرية العظمى: منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر.

مسعودة لعريط. (2004). إشكالات الأدب النسائي. الملتقى الدولي الثامن للرواية، عبد الحميد بن هدوقة (الصفحات 21-35). برج بوعريرج، الجزائر: منشورات دار الثقافة.

منى بيكر. (2005). ترجمة السرديات، سرديات الترجمة. فصول في النقد الأدبي (66).

نجوى بن شتوان. (2005). وبر الأحصنة. القاهرة، مصر.

نجوى بن شتوان. (2009). وبر الأحصنة (المجلد 33). مجلة الكلمة.

نصر حامد أبو زيد. (2000). دوائر الخوف (قراءة في خطاب المرأة). الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.